ملامح اختيار موقع القصبة فى المدن الأندلسية وتخطيط موضعها "دراسة تطبيقية على بعض القصاب الأندلسية"

عامر حسن أحمد عجلان(*)

ملخص:

يحتل موضع القصبة أهمية كبيرة فى تخطيط المدينة الأندلسية، والتى روعي فيها أمور عدة، سواء فى اختيار الموقع أو فى تخطيط الموضع، وعلى رأسها التحصين، والتى ارتبطت بصورة كبيرة فى المدن الأندلسية بالقصاب التى أثرت على تخطيط المدينة ونموها العمرانى، كما كان لموضع القصاب تأثيره فى تخطيط الشوارع والطرق والنسيج العمرانى للمدينة الأندلسية، فضلاً عن علاقة القصاب بمساحة المدينة وعدد سكانها. ونظراً لأهمية موضع القصبة وانعكاسه على تخطيط المدينة ونموها العمرانى، فإن هذه الدراسة تهدف إلى تحديد معايير اختيار موضع القصبة من خلال دراسة تطبيقية على قصاب: مالقة، جيان، ماردة، بطليوس، المرية، والحمراء.

مقدمة:

تعددت المصادر والدراسات الآثارية والتاريخية التى تعرضت للعمائر الحربية بالأندلس طوال فترات تاريخها الإسلامى، وقد لاقت القصاب الإسلامية – التى مازالت قائمة بجل المدن الأندلسية- اهتماماً كبيراً من هذه الدراسات، بوصفها نوعية مهمة من نوعيات العمارة ذات السمة الحربية.

وتعتمد الدراسة فى مصادرها على تلك الآثار الباقية من قصبات، وما كتب عنها فى المصادر والمراجع سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فقد استفاد الباحث كثيراً من كتب الحوليات والأخبار أو المصادر التاريخية، سيما وأنه توجد عدة مصادر تناولت تاريخ وحضارة الأندلس منذ الفتح الإسلامى وحتى انتهاء دولة بنى الأحمر. وقد أفادت هذه المصادر بمعلومات عن تاريخ الدول الإسلامية المتعاقبة التى حكمت الأندلس، وأسماء ملوكها وكناهم وألقابهم وأنسابهم،

(*) المدرس المساعد بقسم الآثار الإسلامية – كلية الآثار – جامعة سوهاج.

هذا البحث جزء من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث بعنوان: "القصاب الباقية في الأندلس والمغرب الأقصى منذ القرن الثالث حتى نهاية القرن التاسع الهجري دراسة آثارية عمرانية مقارنة"، تحت إشراف أ.د. محمد عبد الستار عثمان – كلية الآثار- جامعة سوهاج & أ.د. محمد السيد أبو رحاب – كلية الآداب – جامعة أسيوط.

والعمائر التى قاموا بتشييدها، وعلى رأسها القصاب، وما أجروه عليها من توسيع وترميم، كما عرضت لعلاقات الدول الإسلامية فى الأندلس بالدول المعاصرة لها فى المشرق والمغرب وأوروبا، ونظم الحكم والإدارة، وطبقات المجتمع، وغيرها من المعلومات المهمة والمفيدة[١].

أما المصادر الجغرافية، سواء أكانت متعلقة بجغرافية الأقاليم أو بجغرافية البلدان أم بجغرافية المدن، فقد أفادت فى التعريف بكثير من أسماء المدن والمواقع، ومعرفة كثير من الاستحكامات الحربية التى تحصن المدن وخاصة القصبات، ومواضع تلك المنشآت، فضلاً عن مواضع المدن، ومناخها، وطبوغرافيتها[٢].

كما أفادت الدراسة من كتب الطبقات والتراجم التى ترجمت للحكام والوزراء والقضاة والعلماء والمشايخ، فمن خلال تتبعها لمختلف المراحل التى مر بها هؤلاء ذكرت عدة إشارات مثلت مصدراً مهماً لمعرفة أسماء المواقع والمعالم والتمكن من تأريخها، كما تناولت وصفاً لأحداث تاريخية مهمة، وورد فيها ذكر لمنشآت شيدها أصحاب تلك التراجم ومواضعها[٣].

أما كتب السياسة والحروب فقد كشفت النقاب عن كثير من الخطط والتكتيكات الحربية التى كانت مستخدمة سواء فى الهجوم أو الدفاع والأسلحة المستخدمة فى القتال، ومدى تأثير مواضع الاستحكامات الحربية وبخاصة القصاب عليها، أضف إلى ذلك الاشتراطات التى وضعها أصحاب هذه المؤلفات والتى يجب توافرها فى بعض العناصر المعمارية الحربية كالأسوار والخنادق وغيرها، فضلاً عن الشروط التى وضعتها تلك المؤلفات لاختيار المواضع المثلى

---

[١] – ومن هذه المصادر، "تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية (ت: ٣٦٧هـ)، و"نصوص عن الأندلس" لابن الدلائى (ت: ٤٧٨هـ)، و"الأندلس فى اقتباس الأنوار وفى اختصار اقتباس الأنوار" للرشاطى (ت: ٥٤٢هـ) وابن الخراط (ت: ٥٨١هـ)، و"المن بالإمامة" لابن صاحب الصلاة (ت: بعد ٥٩٤هـ)، و"البيان المغرب" لابن عذارى (ت: بعد ٧١٢هـ)، و"معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار" و"ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب"للسان الدين ابن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ)، وغيرها.

[٢] – مثل كتاب "آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان" لابن المنجم (ت: القرن ٤هـ)، و"نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق" للإدريسى (ت: بعد ٥٤٨هـ)، و"مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار" للعمرى (ت: ٧٤٩هـ)، و"الروض المعطار فى خبر الأقطار" للحميرى (ت: ٨٦٦هـ) .

[٣] – ومن هذه المصنفات: "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضى (ت: ٤٠٣هـ)، و"المقتبس" لابن حيان القرطبى (ت: ٤٦٩هـ)، و"الصلة" لابن بشكوال (ت: ٥٧٨هـ)، و"المعجم فى أصحاب القاضى الإمام أبى على الصدفى" و"الحلة السيراء" و"التكملة لكتاب الصلة" لابن الآبار (ت: ٦٥٨هـ)، و"أزهار الرياض فى أخبار عياض" للمقرى (ت: ١٠٤١هـ).

لإنشاء المدن وتحصينها، إضافة إلى ما يجب على السلاطين والحكام من إتباعه فى أوقات الحرب والسلم[١]. كذلك أفادت الدراسة من كثير من الدراسات الحديثة، العربية منها والأجنبية، سواء ما يتعلق منها بالجوانب التاريخية أو الحضارية.

تمهيد:

القِصَاب لغوياً: جمع قصبة، وتجمع أيضاً على قصبات، والقصبة: جوف القصر، وقيل القصر، وقصبة البلد: مدينته، والقصبة: جوف الحصن يبنى فيه بناء هو أوسطه[٢]. والقصبة: عاصمة الإقليم وحاضرته[٣].

ومن الناحية العمرانية والمعمارية فإن القصبة فى بلاد المغرب والأندلس عبارة عن استحكام حربي منيع يبنى عادة فى موقع مرتفع للدفاع عن المدن. مثل قصبة مالقة وقصبة المرية بالأندلس، وقصبة رباط الفتح وقصبة مراكش بالمغرب الأقصى، وقصبة تونس بالمغرب الأدنى، وهى أهم بناء فى المدينة، ففيها تتمركز السلطة السياسية، ومنها تبدأ الدفاعات الحصينة التى تحتضن المدينة[٤].

والخلاصة أن القصبة كانت بمثابة المُدْينة المحصنة، التى هى جزء من المدينة وتنشأ فى أمنع مواضعها، وكان الطابع التحصينى فيها هو الأساس، فهى إلى جانب كونها قصراً أو مقر إدارة، كانت عبارة عن ملجئ محصناً يلجأ إليه السكان فى وقت الخطر. وهكذا نجد أن وظيفة القصبة كانت تؤدى الوظيفة الحربية والسياسية والإدارية .

والحديث عن التصميم المعمارى للقصبة يكشف عن أن القصبة كانت تتمتع بكافة أنواع الدفاعات والتحصينات، بنفس الدرجة التى للمدينة وربما أكثر منها،

---

[١] – ومن تلك المصنفات: "سلوك المالك فى تدبير الممالك" لابن أبى الربيع (ت: ٢٧٢هـ)، و"النهج المسلوك فى سياسة الملوك" للشيزرى (ت: ٥٩٠هـ)، و"واسطة السلوك فى سياسة الملوك" لأبو حمو بن زيان (ت: ٧٩١هـ)، و"المقدمة" لابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)، و"بدائع السلك فى طبائع الملك" لابن الأزرق (ت: ٨٩٦هـ)، و"تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين" للمغيلى التلمسانى (ت: ٩٠٩هـ).

[٢] – ابن منظور: لسان العرب، جـ١، ص ٦٧٦ .

[٣] – دوزى: تكملة المعاجم العربية، جـ٨، ص ٢٨٧؛ وللقصبة كثير من المعانى الأخرى، لاستزادة عنها راجع مادة "قصب"، ابن منظور: لسان العرب، جـ١، ص ص ٦٧٤–٦٧٧؛ دوزى: تكملة المعاجم العربية، جـ٨، ص ص ٢٨٤–٢٨٨.

[4] – Torres Balbás: La ciudad musulmana, p. 105; Varios autores: Almeria: las ultimas, p.4.

فهى تضم: خنادق تتقدم أسوارها، والتى كان يتم ملئها بالماء زيادة فى عرقلة المهاجمين، مثلما فى قصبتى المرية وبطليوس. يلى الخنادق أسواراً ثانوية "منقاص" تتقدم الأسوار الرئيسية، ويبلغ ارتفاعها عادة نصف ارتفاع السور الأساسي، تعمل كخط دفاعى متقدم أمام الأسوار الرئيسية لعرقلة المهاجمين، وعدم مباغتة المدافعين، وإفشال الهجوم، مثلما فى قصبة بطليوس.

يلى المنقاص أسوار حصينة تنوعت مادة بنائها بداية من الحجر مثل: قصبتى ماردة وجيان، ثم الحجر والآجر كما فى قصبة مالقة، مروراً بالطابية مثلما فى قصبتى المرية وبطليوس، وانتهاءً بالطابية والآجر كما فى قصبة الحمراء.

ودعمت أسوار القصاب بأبراج تنوعت وتطورت بمرور الوقت، فبدأت بأبراج مربعة مصمتة فى قصبة ماردة، ثم وجدت الأبراج ذات الغرف فى باقى القصاب، وزيادة فى دعم النظم الدفاعية أمام خطر الغزو الخارجي، عرف الموحدون "الأبراج البرانية" للاستطلاع ومراقبة تحركات العدو، ومنعه من اقتحام القصاب والمدن، وربطوها بالقصاب أو الأسوار بقنطرة، مثلما فى قصبة بطليوس، والأبراج البرانية التى أضافها الموحدون لقصبة ماردة.

كما يحتوى سور القصبة على بوابات للدخول ذات تخطيطات متنوعة، بدأت بمداخل مباشرة فى قصبة ماردة (شكل ١)، وتطورت إلى مداخل بممرات منكسرة (ذات مرافق) يحميها برج أو اثنان مثلما فى قصاب مالقة وبطليوس (شكل ٢) والحمراء (شكل ٣).

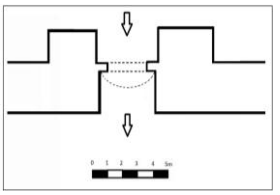

شكل(١): مدخل مباشر يحميه برجان بقصبة ماردة. عمل الباحث.

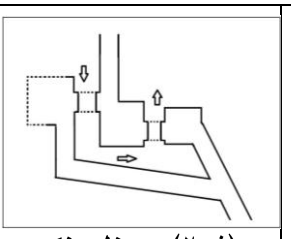

(ش٢): مدخل منكسر تحميه ثلاثة أبراج بقصبة بطليوس. عمل الباحث.

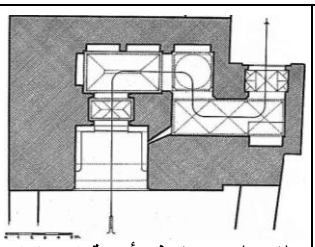

(ش٣): مدخل ذو أربعة انكسارات بداخل البرج بقصبة الحمراء. عن: أرشيف مخططات الحمراء.

ولمضاعفة التحصين زودت بعض القصاب ببرج قوى مكون من عدة طوابق تتراوح بين ثلاثة وستة، وتتوفر به الإمكانية لمقاومة القوات المهاجمة، مثلما فى قصبتى جيان والحمراء.

والقصبة تشمل عادة على قصر الحاكم، ودور الوزراء والحاشية، ودواوين للإدارة والحكم[١]، ومستودعات ومخازن للمال والسلاح، وصهاريج لتخزين المياه[٢]، وأماكن لتخزين الطعام والحبوب والملح[٣] يطلق عليها مطامير أو أهراء[٤]، ومسجد جامع، وأبواب للاتصال بالخارج والداخل[٥]، وحمامات وسجن يزج به من يخالف القانون، وأحواض لسقى الدواب[٦]، وباعتبارها قاعدة الحكم فهى تشتمل على منشآت حربية ومدنية ودينية ومرافق ذات الخدمات العامة المشتركة[٧]. وأحياناً تنمو هذه المجموعة حتى تغدو قاعدة ملوكية محصنة، كما هو الحال فى مدينة الزهراء التي أنشئها الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر عام (٣٢٥هـ/٩٣٦م)، ومدينة الزاهرة التي أنشئها الحاجب المنصور بن أبى عامر عام (٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)[٨].

ومن خلال تعريف القصبة وتكوينها المعمارى ومرافقها المعمارية تتجلى أهمية موضع القصبة الذى يمكنها من القيام بوظيفتها المنوطة بها على أكمل وجه، والذى سيتم العرض له فيما يلى:

قصبة مالقة:

جاء إنشاء قصبة مالقة (١٤٢-١٥٨هـ/٧٥٩-٧٧٥م) لاحقاً لإنشاء المدينة التى تطوقها التحصينات الطبيعية من جميع الاتجاهات، حيث تحيط بها سلاسل

---

1 – Torres Balbás: Estructura de las ciudades hispanomusulmanas: la medina, los arrabales y los barrios, p. 156.

2 – Aida Hoteit: Cultura, espacio y organización urbana en la ciudad islámica, p. 39; Peter Burton: Islamic Castles in Iberia, p. 232; AbdelKader Mtiri: La ciudad islámica, p. 34.

3 – Torres Balbás: La alcazaba y la catedral de Málaga, p. 32.

٤ – عامر عجلان: المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص ٥٠٢، ص ٥٠٩ .

٥ – محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص ١٥٨؛ توريس بالباس: المدن الإسبانية الإسلامية، ص ١٢.

٦ – مالدونادو: عمارة المدن والحصون، مج١، ص ١٨٧.

٧ – على خلاصى: قصبة مدينة الجزائر، ج ١، ص ٥ .

8 – Jorge Juan: Arte Hispano–Musulmán, p.18.

جبلية من جهة الشمال، وجبل فارو من جهة الشرق، ونهر وادى المدينة من جهة الغرب، والبحر المتوسط من جهة الجنوب. وقد أفادت تلك التحصينات الطبيعية فى تأمين وتحصين قصبة مالقة التى اختير لها موضعاً مرتفعاً من أمنع مواضع المدينة، حيث تقع القصبة شرق المدينة، أسفل جبل فارو الذى يحدها من الشمال والشرق، ويحدها البحر المتوسط من الجنوب، واتصلت بالمدينة من الناحية الغربية[1]، وتتموضع أعلى تلة شديدة الانحدار طولها ١٢٦م، وعرضها ٤٠م، ويبلغ ارتفاعها عند طرفها الشرقى فى أعلى نقاطها ٥٥م، وتمتد بمحاذاة ساحل البحر، وهو الجزء المتحكم بالمدينة والميناء[2]، غير بعيدة عن نهر وادى المدينة والذى يحد المدينة من جهة الغرب (خريطة ١)، وتم الربط بين أسوار القصبة وأسوار المدينة عن طريق باب القصبة. ووصفها الحميرى بقوله: "مالقة بالأندلس، مدينة على شاطئ البحر، ... وقصبتها في شرقي مدينتها عليها سور صخر، وهي في غاية الحصانة والمنعة"[3].

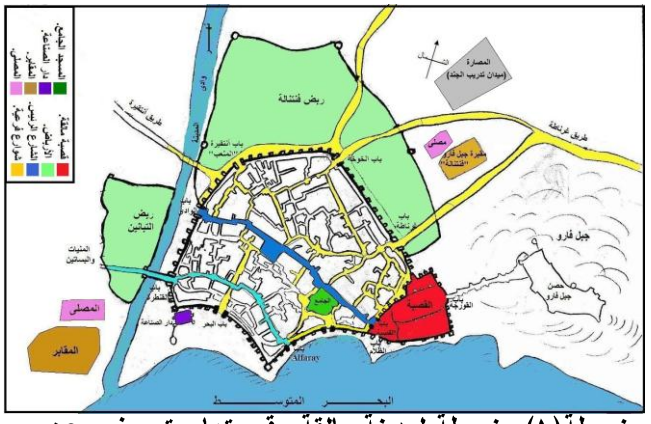

خريطة(١): خريطة لمدينة مالقة وقصبتها، بتصرف، عن:
M. Carmen: *La muralla islámica de Málaga, Lám. 1, p. 137.*

كما وصف ابن الخطيب قصبة مالقة بقولة: "فأما المنعة فلمالقة حرسها الله فضل الارتفاع، ومزية الامتناع، أما قصبتها فاقتعدت الجبل كرسياً، ورفعها الله

[1] – Torres Balbás: Hallazgos arqueológicos en la Alcazaba de Málaga, p.90.

[2] – Torres Balbás: La alcazaba y la catedral de Málaga, p. 22.

[3] – الحميرى: الروض المعطار، ص ص ٥١٧–٥١٨؛ ولنفس المؤلف: صفة جزيرة الأندلس، ص ص ١٧٧–١٧٨.

مكاناً عليا، بعد أن ضوعفت أسوارها وأقوارها[١]، وسما بسنام الجبل المبارك منارها، وقربت أبراجها، وصوعدت أدراجها، وحصنت أبوابها، وعزز جنابها"[٢].

ويتضح مما ذكره ابن الخطيب مدى حصانة موضع القصبة أعلى الجبل، ومدى حصانة وقوة أسوارها المتعددة، وأبراجها الكثيرة والقريبة من بعضها، فضلاً عن قوة ومنعة أبوابها، الأمر الذى كرره ابن الخطيب فى أكثر من موضع فى كتاباته عن مدينة مالقة موضحاً حصانة وضخامة قصبتها، وكيف أن القصبة والتحصينات الطبيعية تحكموا فى توجيه النمو العمرانى للمدينة[٣].

وقد تحدث الأمير عبد الله بن بلقين حفيد باديس عن حصانة قصبة مالقة فى مذكراته حيث قال مشيراً إلى جده باديس: "وبنى قصبتها بنياناً لم يقدر على مثله أحد فى زمانه، وأعدها عدة للمهمات، وجعل فيها جميع ما ورث لابنه، وزاد عليه، وكان الذى يتوقع من كلب سلاطين الأندلس واتفاقهم عليه، لذلك أن يتحصن فيها ما استطاع"[٤]. ولعل هذا النص يفسر لنا حصانة قصبة مالقة وتعدد أسوارها وكثرة أبراجها على نحو لم نشهده فى باقى القصاب الأندلسية. فقد كان للقصبة فى العصر الإسلامى اثنا عشر باباً، ومائة وعشرة برجاً، واثنان وعشرين باباً ثانوياً، وتشغلها من الداخل حدائق وحمامات وجامع وقصور ومعسكرات، ولا يتم الدخول إلى القصبة والصعود إلى أعلاها إلا عبر شبكة من الطرق الضيقة المتعرجة التى تشكل عقبات أمام أى عدوان عليها[٥].

والواقع المعمارى للقصبة يؤكد ما ذكرته المصادر عن حصانتها، فالقصبة اليوم – ورغم فقدانها لكثير من مساحتها – تشغل مساحة غير منتظمة الشكل، يبلغ متوسط طولها من الشرق إلى الغرب ٢١٠م، ومتوسط عرضها من الشمال إلى الجنوب ٧٠م، بإجمالى مساحة قدرها ١٥,٠٠٠م^{٢}. وتتكون من سورين:

---

[١] – أقوار: مفردها قور، بمعنى نطاق أو سياج. ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ح ٢، ص ٥٨ . ومن خلال النص يتضح أن الأقوار تعنى الأسوار الأمامية التى تتقدم الأسوار الرئيسية، حيث سبقها ابن الخطيب بذكر الأسوار والتى هى الرئيسية، وذكر بعدها الأقوار وهى الثانوية.

[٢] – ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين، ص ٥٨؛ ولنفس المؤلف: ريحانة الكتاب، مج ٢، ص ٣٥٥.

[٣] – ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص ص ٨٧–٨٩؛ ولنفس المؤلف: ريحانة الكتاب، مج ٢، ص ٢٨٦ .

[٤] – عبد الله بن زيرى: كتاب التبيان، ص ٤٣.

[5] – Carlos Sarthou: Castillos de Espania, p. 94.

السور الخارجى، يبلغ محيطه ٦٢٠م، ومتوسط ارتفاعه ٨م، وسمكه ٢٠.٢م، ويحتوى على ٣٠ برجاً، تتراوح ارتفاعاتها بين ٥٠.٧م و١٤م، ومتوسط المسافات بينها ١١م. والسور الداخلى: محيطه ٣٦٠م، وسمكه وارتفاعه مثل السور الأول، ويحتوى على ٢٠ برجاً، تتراوح ارتفاعاتها بين ١١م و١٨م، ومتوسط المسافات بينها ٨.٧٥م. وتلك الكثافة فى الأبراج تعمل على تدعيم السور وزيادة الدفاع عنه وعن القصبة بشكل عام.

وللوصول إلى داخل القصبة لابد من اجتياز وعبور مدخل مركب يتكون من أكثر من بوابة متتالية، ذات تخطيطات متنوعة جمعت بين حيل حربية عدة لعرقلة المهاجمين، تربط بينها مجموعة من المنعطفات والممرات التى تعقد وتزيد من صعوبة الوصول إلى داخل القصبة.

كما يتضح من خريطة المدينة الربط بين أسوار القصبة وأسوار المدينة الأم والأرباض، والتى تميزت بتعرجها وكثافة أبراجها، التى تزيد من متانتها وقدرتها الدفاعية.

ومن العرض تتضح مدى الحصانة الطبيعية لموضع القصبة الذى كفله له ارتفاع التلة الواقع عليها، وإحاطة الجبال والبحر المتوسط له. ورغم هذا التحصين الطبيعى إلا أن المعمار الأندلسى اهتم بزيادة قوة وحصانة القصبة والمدينة بما أنشأه من تحصينات معمارية بدأت من الخارج بأسوار الأرباض، تلتها أسوار المدينة الأم، ثم أسوار القصبة التى تميزت بتعددها ومنعتها وكثرة وتقارب أبراجها وحصانة بواباتها، فى ضوء رؤية دفاعية تهدف لتأمين الحاكم وتحصينه فى إطار مراحل الدفاع المتتالية بداية من دفاعات الأرباض والمدينة الأم والقصبة، والتى تشكل جميعاً منظومة دفاعية متكاملة.

كما لم يغب عن ذهن الحكام المسلمين فى الأندلس عندما كانوا يختارون مواقع قصباتهم – بجانب الحصانة– أن تكون قريبة من مصادر الماء. التى كانت فى ذات الوقت تمثل إحدى وسائل الحصانة فى حال كونها أنهار تعمل كخندق مائى طبيعى يحمى القصبة ومدينتها. فمثلت الأنهر مصدر إمداد بالماء وحماية وتحصين للقصبة. وتنوعت تلك المصادر بين أنهار وآبار وعيون وأمطار.

وقرب الماء، وتوافره، وعذوبته، وسهولة الوصول إليه وجلبه، من أهم الشروط التى وضعها المفكرون المسلمون لاختيار مواقع مدنهم، فقد جعله ابن

أبى الربيع أول تلك الشروط، وهو: "سعة المياه المستعذبة"[١]. وقال ابن خلدون: "وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فمنها الماء، بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة غزيرة المياه"[٢]. وقرب الماء ومدى توفره يمثل نوعاً من أنواع الدعم للقصبة فى أوقات السلم والحرب، فكم من المدن والقصبات الأندلسية سقطت فى أيدى مهاجميها ليس بسبب ضعف تحصيناتها ولكن بسبب قطع المهاجمين لسبل تزويدها بالماء.

وقد اعتمد سكان مالقة فى شربهم على مياه الآبار التى امتازت بقرب مياهها وغزارتها وعذوبتها، إضافة إلى مياه نهر وادى المدينة[٣]، وقصبتها كانت مزودة بآبار لاستخراج الماء ومواجل لتخزينها. ولا زالت القصبة تحتوى على ماجل كبير كان يزود كافة منازل القصبة بالماء[٤]. ويحتل هذا الماجل أغلب مساحة صحن منزل يقع شرقى غرفة الرمان. ويشغل مساحة مستطيلة أبعادها ٣٠.٥م × ٤.٣٠م، وله سلم وعقدان مستعرضان لدعم القبو النصف اسطوانى الذى يغطى الماجل المكون من بلاطة واحدة، وتبلغ سعته ١١٥م^{3}[٥]. ويتم تزويد الماجل بالماء من خلال بئر بالقصبة يدعى بئر أيرون **Airon**، حيث كانت المياه تستخرج منه عن طريق ناعورة، ويبلغ عمق البئر ٣٢م، لكن المياه فى الوقت الحالى على عمق حوالى ثمانية أمتار[٦].

كما كانت القصبة مزودة بمزيرة معدة لشرب الماء، يصفها عبد الباسط الظاهرى أثناء زيارته لقصبة مالقة فى رحلته التى قام بها إلى بلاد المغرب والأندلس، إذ قال: "وفى هذا اليوم الخميس تاسع عشرينه (شهر ربيع الآخر عام ٨٧٠هـ) صعدت بمالقة إلى قصبتها، وهى السلطنة وبها دار الإمارة، ....ثم إننى رأيت بهذه القصبة مكاناً معداً للماء، به ثلاثة من الأزيار المالقى، ما رأيت

---

[١] – ابن أبى الربيع: سلوك المالك فى تدبير الممالك، ص ١٠٦.

[٢] – ابن خلدون: المقدمة، جـ٢، ص ٧٨٦؛ ابن الأزرق: بدائع السلك فى طبائع الملك، جـ٢، ص ٧٠٠.

[٣] – الإدريسى: نزهة المشتاق، ص ٥٦٥؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٥١٧؛ ولنفس المؤلف: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٨؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية، جـ ١، ص ١٢٤ .

[٤] – جوميث مورينو: الفن الإسلامى فى إسبانيا، ص ٤٨، ص ٥١ .

[٥] – مالدونادو: العمارة الأندلسية عمارة المياه، ص ٣٢ .

[6] – **Gullén Robles**: **Málaga Musulmana**, **p**. 319.

ولا سمعت بمثلها ولا بحسنها، قد صفت ثلاثتها إلى جانب بعضها البعض بهذا المكان المعد لشرب الماء بدهليز هذه القصبة"[١].

كما تميز موضع القصبة بقربه من الظهير الزراعى الذى يخدم القصبة والمدينة ويوفر لها ما تحتاج إليه من الغذاء والطعام، فقد امتازت مالقة بطيب وخصوبة تربتها[٢]، فهى كثيرة الخيرات، ولا ينقصها شئ من البساتين والفواكه[٣] – كالتين والزيتون واللوز والعنب والرمان[٤]– التى كانت تحمل منها إلى مصر والشام والعراق وربما وصلت حتى إلى الهند والصين[٥]. والفضل فى ذلك يرجع إلى واديها الكبير الذى وفر لها الأراضى الزراعية الخصبة، وإلى نهرها الذى يمدها بالمياه اللازمة للرى والزراعة[٦].

وقرب القصبة ومدينتها من الأراضى الزراعية أو مصادر الغذاء يعد تطبيقاً للفكر الإسلامى فى اختيار مواضع المدن، والذى أشار إليه ابن أبى الربيع بـ "إمكان الميرة المستمدة"[٧]. كما ذكر ابن خلدون وابن الأزرق: أنه مما تجب مراعاته فى أوضاع المدن جلب المنافع، ومنه طيب المراعى وقرب المزارع[٨]. وقرب الميرة المستمدة والغذاء يمثل نوعاً من أهم أنواع الدعم فى أوقات السلم والحرب، حيث يعين توافر الغذاء المدافعين عن المدينة والقصبة على المقاومة والصمود فى وجه أية حصار مدة تطول بقدر ما يتوافر للمدافعين من غذاء.

ومما سبق يتضح تمتع موقع قصبة مالقة بمقومات طبيعية كفلت له الحصانة، كالارتفاع ومجاورته للجبل والبحر. وبمقومات معمارية مثلت خطوط دفاع متتالية بداية من أسوار الأرباض، ثم أسوار المدينة، والأحياء السكنية نفسها، ثم تحصينات القصبة. إضافة إلى توفر الماء والغذاء واللذان يمثلان دعماً

---

[١] – عمر التدمرى: مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهرى فى بلاد المغرب والأندلس، ص ٢٤ .

[٢] – العمرى: مسالك الأبصار، جـ ٤، ص ٢٣٤؛ طافور: الرحلة، ص ٦ .

[٣] – ابن بطوطة: الرحلة، جـ ٤، ص ٢١٩ .

[٤] – مجهول: تاريخ الأندلس، ص ١٢٤ .

[٥] – ابن الوردى: خريدة العجائب، ص ٦٧ .

[6] – Guillén Robles: Málaga musulmana, T. 2, p. 464.

[٧] – ابن أبى الربيع: سلوك المالك فى تدبير الممالك، ص ١٠٦.

[٨] – ابن خلدون: المقدمة، جـ٢، ص ٧٨٧؛ ابن الأزرق: بدائع السلك فى طبائع الملك، جـ٢، ص ٧٠١.

غير مباشراً لقاطنى القصبة يعينهم على المقاومة والقتال فى حالة الحرب، والأمن المائى والغذائى فى حالة السلم.

قصبة جيان:

أنشئت مدينة جيان قبل قصبتها، حيث أن المدينة موجودة منذ ما قبل العصر الإسلامى، ولكن بعدما قام عبد الرحمن الثانى باتخاذها عاصمة للإقليم عام (٢١٠هـ/٨٢٥م) ازدهرت المدينة، وبدأ عبد الرحمن ببناء القصبة فى أمنع مواضع المدينة، أعلى الجبل الذى يحميها من جهة الجنوب[١]، والذى يعرف باسم جبل سانتا كاتالينا، ويبلغ ارتفاعه ٨٢٠م[٢]. وقد أكدت المصادر على حصانة ومنعة موقع قصبة جيان، فقال الحميرى: "وجيان فى سفح جبل عالٍ جداً، وقصبتها من القصاب الموصوفة بالحصانة"[٣]. وقال ابن سعيد: "مدينة جيان من أعظم مدن الأندلس فى المنعة، لا ترام بقتال"[٤]. "وأما جيان فإنها لبلاد الأندلس قلعة، إذ هى أكثرها زرعاً، وأصرمها أبطالاً، وأعظمها منعة، وكم رامتها من عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العَيوق، وأعز منالاً من بيض الأنوق"[٥]، "ومدينة جيان على جبل[٦]، وهى فى نهاية المنعة والحصانة[٧] ولها قصبة من أمنع القصاب وأحصنها يرتقى إليها على طريق مثل مدرج النمل ويتصل بها جبل كور"[٨].

وتشغل قصبة جيان مساحة غير منتظمة الشكل تمتد فى استطالتها من الشرق إلى الغرب، ويبلغ متوسط طولها ٥١٢م، ومتوسط عرضها ٤٣م. وتتكون القصبة من ثلاثة أقسام: غربى، وأوسط، وشرقى. ولم يبق منها اليوم سوى القسم الشرقى الذى يشغل مساحة قدرها ٣٠٠٠م٢، ومحيط أسواره ٢٥٠م، وارتفاعها يتراوح بين ٧م و١٢م، وسمكها ٢.٦٠م، ويحتوى على ستة

---

١ – ابن عذارى: البيان، جـ٢، ص ٨٢؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ١٨٣.

2 – Castillo de Santa Catalina, available on line at, http://amanecerenpriego.blogspot.com/2012/11/castillo-de-santa-catalina.html, 23/7/2014.

٣ – الحميرى: الروض المعطار، ص ١٨٣؛ ولنفس المؤلف: صفة جزيرة الأندلس، ص ص ٧٠–٧١.

٤ – ابن سعيد: المغرب، جـ٢، ص ٥١ .

٥ – رسالة الشقندى الواردة فى نفح الطيب، جـ٣، ص ٢١٧ ؛ ابن الخوجة: حضارة الأندلس، ص ٨٥ .

٦ – شكيب أرسلان: الحلل السندسية، جـ١، ص ٢٧٠ .

٧ – القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢٢٩ .

٨ – الإدريسى: نزهة المشتاق، جـ ٢، ص ٥٦٨ .

أبراج، تتراوح ارتفاعاتها بين ١٥م و٢٩م، ومتوسط المسافات بين الأبراج ١٧م.

ولم يتم الاكتفاء بالحصانة الطبيعية للموقع بل تم إحاطة المدينة بالأسوار وربطها بأسوار القصبة. ومع تطور عمران المدينة وظهور أرباضها تم تحصينها وإحاطتها بالأسوار، والتى ربطت أيضاً بأسوار القصبة[١].

ومن خلال خريطة المدينة (خريطة ٢) نلاحظ انكسار تلك الأسوار وتعرجها الذى يزيد من متانتها وقدرتها الدفاعية وتناسبها مع طبوغرافية الموضع المرتفع وانحدارات الجبال. كما يتضح تعدد أبراج الأسوار وقربها، مما يزيد من المتانة الإنشائية للسور والقدرة الدفاعية والهجومية له.

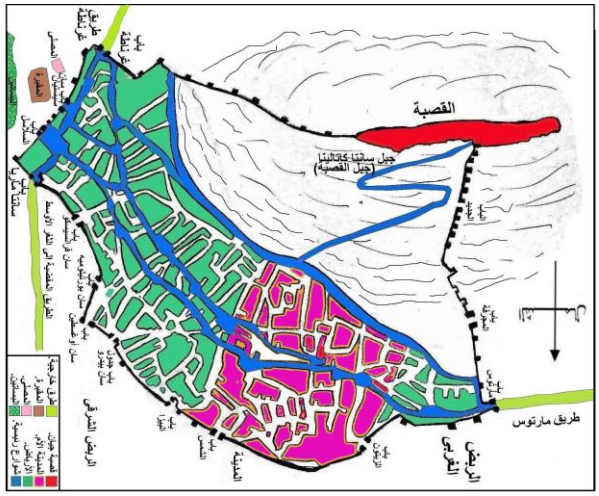

خريطة(٢): خريطة لمدينة جيان وقصبتها، بتصرف، عن:
Vicente S. Cuenca: *Las murallas urbana*, Fig. 1, p.75.

وبذلك تعددت خطوط الدفاع عن القصبة والتى بدأت بأسوار الأرباض، ثم أسوار المدينة نفسها، ثم أسوار القصبة والجبل الذى يحميها.

كما تميز موضع جيان بوفرة الماء العذب، فهى من المدن الأندلسية ذات العيون الكثيرة، نميرة المياه، عذبة المذاق[٢]، "...وفي داخلها عيون وينابيع مطردة، ومنها عين ثرة عذبة، ...ومن عيونها عين البلاط، عليها قبو للأول، وماؤها لا ينقص في زمان من الأزمان، ..وتسقى بها أيضاً أرض كثيرة، ومن

[١] – للاستزادة عن أسوار مدينة جيان، راجع:
Vicente S. Cuenca: Las murallas urbanas, p. 56–73; Manuel Casado, Ángel Aparicio: Las murallas de la ciudad de jaen, (I) y (II).

[٢] – الإدريسى: المغرب وأرض السودان، ص ٢٠٢؛ ولنفس المؤلف: نزهة المشتاق، ص ٥٦٨؛ ابن سعيد: المغرب، جـ ٢، ص ٥١؛ الرشاطى وابن الخراط: الأندلس فى اقتباس الأنوار، ص ١٣٥؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٧٧؛ مجهول: تاريخ الأندلس، ص ٩١.

عيونها عين سطرون، وماؤها غزير نمير وعليها سقى كثير"[١]، فضلاً عن قرب المدينة من "نهر بلون وهو نهر كبير وعليه أرحاء كثيرة جداً"[٢].

وقال المقدسى: "ومدينة جيّان على جبل كثيرة الأعين، ...بها اثنتا عشرة عيناً، ثلاث عليها أرحية"[٣]، وقال عنها الإدريسى: "وهي مدينة كثيرة العيون الجارية تحت سورها"[٤]. وقد تم تزويد القصبة بالماء من تلك الينابيع والعيون الكثيرة، حيث قام عبد الرحمن الثانى بجلب الماء إليها من نبع ماجدالينا[٥]. ويرجح أن ذلك كان يتم من خلال نواعير ترفع الماء إلى سواقى (قنوات) أو حنايا (قناطر) تصب فى القصبة.

كما لم تغفل المصادر ذكر الأراضى الزراعية التى كانت تخدم القصبة والمدينة وتوفر لها ما تحتاجة من طعام يغنيها عن الخروج إلى غيرها، ويكون معيناً لها على مواجهة الحصار الطويل فى أوقات الحروب. فجيان مدينة "كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية، وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير والباقلى وسائر الحبوب"[٦]."وقد جمعت جيان طيب الأرض وسعتها، ...وكثرة الثمار والعيون"[٧]. كما "جمعت تناهى طيب الأرض وكثرة الثمر، وغزر السقيا"[٨].

قصبة ماردة:

أنشئت مدينة ماردة فى وقت سابق عن إنشاء قصبتها التى ترجع إلى عام (٢٢٠هـ/٨٣٥م). وتقع القصبة جنوب وسط المدينة، على ضفة نهر وادى يانة "Guadiana" والذى تم استغلاله كمانع طبيعى لتحصين القصبة التى كانت

---

[١] – الحميرى: الروض المعطار، ص ١٨٣؛ ولنفس المؤلف: صفة جزيرة الأندلس، ص ص ٧٠–٧١.

[٢] – الإدريسى: نزهة المشتاق، جـ ٢، ص ٥٦٨.

[٣] – المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٢٣٤ .

[٤] – الإدريسى: نزهة المشتاق، جـ٢، ص ٥٦٨ .

[5] - **El Castillo de jaén**, **available on line at** http://www.turjaen.org/infoturismo/monograficos_castillo_jaen, 23/7/2014**; Jaén**, **available on line at**, http://www.galeon.com/jaen/jaen/historia.htm, 23/7/2014.

[٦] – الحميرى: الروض المعطار، ص ١٨٣؛ ولنفس المؤلف: صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٠.

[٧] – مجهول: تاريخ الأندلس، ص ٩١ .

[٨] – ابن سعيد: المغرب، جـ ٢، ص ٥١ .

منوطة بصد أى هجوم محتمل يأتى من قبل قنطرة وادى يانة[1]، فقد كانت هى البوابة التى يتم من خلالها العبور إلى داخل المدينة(خريطة ٣).

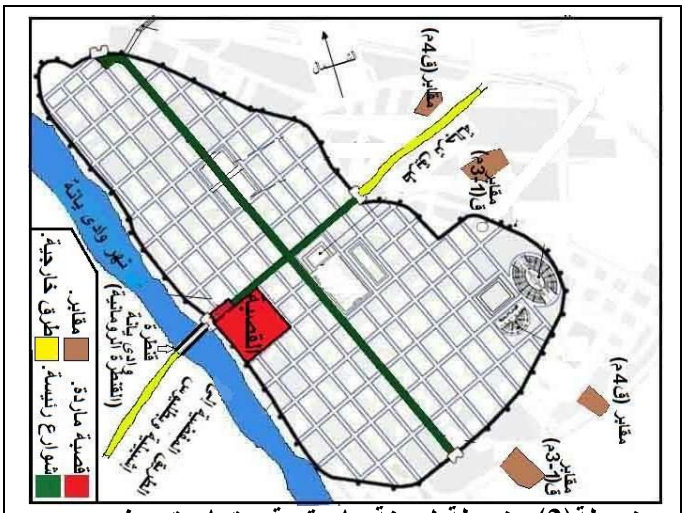

خريطة(3): خريطة لمدينة ماردة وقصبتها، بتصرف، عن:
http://www.spanisharts.com/arquitectura/imagenes/roma/ciudad_emeritaaugusta.html

وتشغل القصبة مساحة مربعة الشكل طول ضلعها – من الداخل– ١٣٠م، وإجمالى مساحتها ١٨٣٨٦م[2]، ومحيط أسوارها ٥٧٢م، ومتوسط ارتفاعها ١٠م، وسمكها، ٢.٧٠م، وعدد الأبراج التى تدعمها ٢٤ برجاً، وارتفاعات الأبراج يتراوح بين ٨م و١٥م، ومتوسط المسافات بينها ١٩م.

ولما كان موضع القصبة غير مرتفع، حيث بنيت على أرض منبسطة، فقد عالج المعمار الأندلسى ذلك بتزويد القصبة بحلول معمارية تكفل لها تعويض نقص التحصين الطبيعى، كاستخدام الأحجار فى البناء، وذلك لقوة ومتانة الأحجار، ومقاومتها الكبيرة وصمودها أمام وسائل الهجوم وطرق هدم الأسوار المختلفة المتبعة فى الحروب أو الثورات آنذاك، ومنها: محاولة نقب الأسوار أو دكها بالمجانيق والدبابات ورؤوس الكباش والمعاول[3].

كما عمد المعمار إلى زيادة سمك الأسوار وارتفاعها، فالسمك يكفل لها المتانة والقوة، ويجعلها أكثر مقاومة لعمليات النقب وضربات المجانيق والكباش، كما يقيها الارتفاع من خطر التسلق، ويزيد فى الوقت نفسه من فرصة المدافعين فى ضرب العدو. وإمعاناً فى المتانة تم زيادة سمك الثلث الأسفل من

---

1 – Alcalzaba Árabe de Mérida, available on line at http://www.meridaeterna.com/alcazaba-arabe-de-merida, 21/11/2012 .

٢ – ابن منكلى: الحيل فى الحروب، ص ص ٣٩٧–٤٠٣.

السور المقابل للنهر – وهو الجانب المتوقع قدوم الخطر من قِبلِه- وتدعيمه بدعامات ساندة "روافد".

كذلك لجأ المعمار إلى كثرة عدد أبراج القصبة مقارنة بمساحتها، وذلك إمعاناً فى الدفاع والتحصين بزيادة تدعيم الأسوار ومضاعفة قدرتها الدفاعية.

وكانت القصبة تتزود بالماء من خلال ماجل فى وسطها يستمد مياهه من النهر المجاور عن طريق سرب فى باطن الأرض مبنى من الحجر[1]. فقد بنى الماجل فى تخوم الأرضى بمستوى منخفض عن مستوى سطح النهر حتى يتسنى للماء الإنسياب إلى الداخل وملء الماجل بطريقة طبيعية بفعل الانحدار فى مستوى مجرى الماء (شكل ٤).

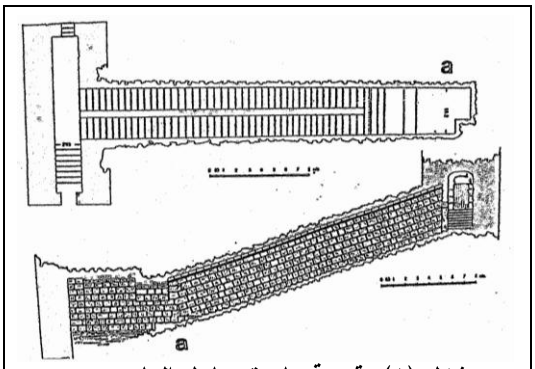

شكل (٤): قصبة ماردة، ماجل الماء. عن: مالدونادو: عمارة المياه، ش ٦٣ A.

وطبوغرافية ماردة عبارة عن أرض سهلية يخترقها نهر وادى يانة، وقد أنشئت المدينة على الضفة الشمالية الشرقية للنهر حيث المساحة المنبسطة الأوسع، والتى تحيط بها الأراضى الصالحة للزراعة التى تؤمن الغذاء لسكان المدينة وقصبتها، فقد ذكر الزهرى: أنه كان يحيط بماردة الجنات والبساتين[2].

قصبة بطليوس:

شيدت مدينة بطليوس وقصبتها عام (٢٦١هـ/٨٧٤م) على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقى[3]. وتقع القصبة شمال المدينة على تلة تدعى "لامويلا" "La

---

[1] – للاستزادة عن هذا الماجل، راجع:
S. Martínez: El aljibe de la Alcazaba de Mérida, pp. 192–212.

[2] – الزهرى: كتاب الجغرافية، ص ٨٦ .

[3] – ابن عذارى: البيان، جـ٢، ص ١٠٢؛ ابن سعيد: المغرب، جـ١، ص ٣٦٤؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٢؛ ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص ١٦٨؛ الرشاطى وابن الخراط: الأندلس فى اقتباس الأنوار، ص ٣٣؛
Fernando Valdés: La Mezquita Privada De 'abd Al–rahman Ibn Marwan al–ynuqi en la alcazaba de badajoz, p. 268.

MueLa"[١] أو "مرتفع الضرس"[٢] على بضعة أمتار من نهر وادى يانة الذى يحدها من الشمال، ومن الشرق يحدها نهر ريفاس(خريطة ٤)، ترتفع القصبة ٢٠٨م عن سطح البحر[٣]، و٦٠م عن سطح النهر[٤]، وهذا المرتفع أو النشز الكلسى هو فى الواقع أقدم أجزاء المدينة، حيث تقوم عليه قصبة بطليوس فى أكثر أجزائه ارتفاعاً والذى يبلغ ٦٠م فوق مستوى النهر الذى تبرز أهميته الإستراتيجية كخندق طبيعى يحصن القصبة[٥].

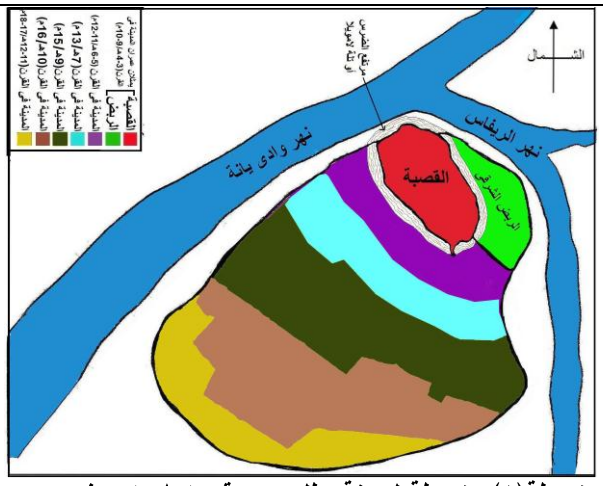

خريطة(٤): خريطة لمدينة بطليوس وقصبتها، بتصرف، عن:
http://alcazaba.unex.es/~ajelias/ajelias.html

ومما لا شك فيه أن الشكل الطبوغرافى لمرتفع الضرس كان عاملاً من العوامل الميسرة للدفاع عن القصبة والمدينة، وهذا الدفاع كان مضموناً من الجهتين الشمالية والشرقية عن طريق الجرف العميق للربوة أو المرتفع بالإضافة إلى الخندقين الطبيعيين لنهرى وادى يانة والريفاس، وعلى العكس من ذلك فى الجهتين الجنوبية والغربية فإنهما يهبطان هبوطاً سهلاً نحو النهر، وفى هذا المنحدر الخفيف أقيمت الأحياء الخارجة عن أسوار القصبة والتى أصبحت النواة الأولى لمدينة بطليوس[٦].

---

[1] – Teresa de Jesús y Otras: Los Jardines de Badajoz, p 257 ; Antonio Navareño: El castillo bajomedieval: arquitectura y táctica militar, p.120 .

[٢] – سحر سالم: مظاهر الحضارة فى بطليوس، ص ٧٦٧.

[3] – La Alcazaba Árabe de Badajoz. S.IX–XII, available on line at http://alcazababadajoz.blogspot.com/2009/05/historia.html, 23\11\2012 .

[4] – Torres Balbás: La alcazaba almohade de Badajoz, p. 168.

[٥] – سحر سالم: مظاهر الحضارة فى بطليوس، ص ٧٦٧.

[٦] – سحر سالم: مظاهر الحضارة فى بطليوس، ص ٧٦٨.

ولم يكتف المعمار بالتحصين الطبيعى لموقع القصبة بل قام بمضاعفة المنعة بالتحصينات المعمارية، فتخطيط القصبة عبارة عن شكل بيضاوى يمتد فى استطالته من الشمال إلى الجنوب، يبلغ متوسط طوله من الشمال إلى الجنوب ٤٠٠م، ومتوسط عرضه من الشرق إلى الغرب ٢٠٠م، ومساحته ٧٢١٢٨م[٢]، ومحيط أسواره ١١٠٠م، ويبلغ متوسط ارتفاع الأسوار ٧.٧٥م، وسمكها ٢.١٠م، يتوجها شرافات ذات قمم هرمية، ويدعم الأسوار ٣٢ برجاً، تتراوح ارتفاعاتها بين ٧.٧٠م و ١٤.٩٠م.

ومع ظهور الربض الشرقى للمدينةفى المساحة المحصورة بين القصبة ونهر الريفاس، تم إحاطته بالأسوار وربطها بأسوار القصبة التى كان يتصل بها من خلال "باب الزائدة" فى سورها الشرقى. ومن أسوار القصبة كانت تبدأ الأسوار التى تبنى لتحصين الامتدادات العمرانية الجديدة للمدينة والتى كانت تتصل بالقصبة من خلال بابى يلبش والتاج.

وتتميز بطليوس بتوفر المياه العذبة التى تخدم المدينة والقصبة، وتوفر لها ما تحتاجه من ماء عذب صالح للشرب والرى، فبطليوس "مدينة، ..بها عيون غزيرة وأنهار مطردة"[١]. كما تم تزويد القصبة بقورجتين[٢] فى سورها الشمالى لجلب الماء إليها من نهر الريفاس[٣]. وفى ذلك قال ابن صاحب الصلاة: "وابتنى لها (أى الخليفة أبو يوسف يعقوب الموحدى) قصبتها الشاهقة المانعة، وسرب الماء إليها من الوادى"[٤]. ففى عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م) أمر الشيخ أبى حفص

---

[١] – مجهول: تاريخ الأندلس، ص ١٠٢ .

[٢] – القورجة، عبارة عن سور فرعى قصير أو ستارة تتصل بالسور الأصلى وتنتهى عادة ببرج برانى يدعم الدفاع عن المنطقة التى يقوم فيها. وتعمل القورجة على حماية باب أو عزل وحماية منطقة قريبة مباشرة من نهر مجاور للقصبة أو المدينة بحيث تسهل عملية الامداد بالمياه فى حالات الحصار.
Torres Balbas: *Las Ciudades Hispano musulmanas*, v. II, p.535; Ricardo Roman: *Courca et Coracha*, p. 156; Luis Seco*: Acerca de la qawarŷa de la alcazaba vieja de Granada*, p.197.

[3] – Samuel Márquez, Pedro Daza: Recursos formales y constructivos en la arquitectura military almohade en al–Andalus, p. 123.

[٤] – ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ١٦٧؛ راجع:
Teresa de Jesús y Otras : Los Jardines de Badajoz, p 258; Juan Enrique: Breve Historia de la Ciudad de Badajoz, p 7 .

ولده الحافظ أبو يحيى بأن يتولى مدينة بطليوس "وأمره بحفر بئر فى داخل قصبة مدينة بطليوس يسرب إليها ماء الوادى، استعداداً لما يخالف من الآفات والمنازلات، فمشى إليها فى جملة نبيهة موفورة من الموحدين والأجناد الأندلسيين واستوطنها، وآنس أهلها من وحشتهم المتقدمة وأمنها، وجد فى حفر البئر المذكورة بالعدانين[١] والفعلة فى ذلك، وهى المعروفة عند العامة بالقورجة، وجلب الماء إليها، فتحصنت القصبة وقويت بها النفوس الآمنة"[٢]. وفى القرن (١١هـ/١٧م) زودت القصبة بقورجة ثالثة لإمدادها بالمياه، إلا أنها أزيلت مع باقى القورجات عند بناء الطريق الدائرى للمدينة[٣].

ثم فى أواخر القرن (١٣هـ/١٩م) تم بناء مواجل للمياه بداخل قصبة بطليوس، وتدعى بخزانات المياه القديمة[٤]. ولابد وأن القصبة كانت تحتوى قديماً على مواجل لتخزين الماء المجلوب من خلال قورجتيها.

وقد تم تأمين مصدر الماء الذى يزود القصبة بأن جُعل فى سرب فى باطن الأرض بعيداً عن متناول الأعداء، وإمعاناً فى تحصينه تم مد جدار عمودى على سور القصبة الموازى للنهر ينتهى ببرج يصل إلى الماء ليمنع وصول القوات المعادية إلى مصدر المياه.

كذلك توفرت المساحات الزراعية التى تؤمن للمدينة والقصبة احتياجاتهما من الغذاء، حيث الأراضى السهلية المنبسطة الصالحة للزراعة على ضفاف نهريها، اللذان وفرا الماء للزراعة ولحاجة السكان، فبطليوس "مدينة كثيرة الفواكه والزرع والأنعام والعسل"[٥].

---

[١] – العدَّانين، لعلها من "عدَّن"، يقال: عدَّن به الأرض وعدنه ضربها به. يقال: عدَّنت به الأرض إذا ضربت به الأرض. ابن منظور: لسان العرب، جـ ١٣، ص ٢٨٠. وعلى ذلك يكون معنى العدانين، هم العمال الذين يحفرون فى الأرض.

[٢] – ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ص ٣٠٥–٣٠٦ .

[3] – Guía de Monumentos de Badajoz, available on line at http://www.monumentosdebadajoz.es /alcazabaint.htm, 21/6/2014 .

[4] - Guía de Monumentos de Badajoz, available on line at http://www.monumentosdebadajoz.es /alcazabaint.htm, 21/6/2014 .

[٥] – مجهول: تاريخ الأندلس، ص ١٠٢ .

قصبة المرية:

قام عبد الرحمن الناصر بإنشاء مدينة المرية وقصبتها عام (٣٤٤هـ/ ٩٥٥م). فقد ذكرت المصادر أن "المرية بالأندلس، مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة أربع وأربعين وثلثمائة[١]، ولها قصبة عظيمة فى رأس جبل قد أشرفت على المدينة، وعلى القصبة سور متقن لا يصعد إلى قصبتها إلا بكلفة ومشقة"[٢]. ويتضح من النص مدى الحصانة فى اختيار موضع القصبة، الذى يرتفع فوق مستوى سطح البحر بنحو ٦٥ متراً، وتكتنفه أجراف شديدة الانحدار، ويمتد هذا الجبل طولاً حذاء ساحل البحر الذى يبعد عنه بنحو ٣٥٠ متراً[٣]. وهو ما تؤكده المصادر التى وصفت طبوغرافية المرية بقولها: "والمرية فى ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، والجبل الثانى فيه ربضها الشرقى ويسمى جبل لاهم"[٤].

وفى المساحة المحصورة بين جبل القصبة والبحر أنشئت مدينة المرية، وتم تحصينها بالأسوار، التى ربطت بأسوار القصبة، ومع تطور عمران المدينة واتساع رقعتها المعمارية نشأ ربضى المدينة الشرقى والغربى فى كنف القصبة التى ارتبطت أسوار الأرباض بأسوارها. ومن موضعها هذا أشرفت القصبة على المدينة وربضيها والبحر(خريطة ٥).

وقد استفاد المنشئ من التحصينات الطبيعية التى تمتاز بها مرية بجانة والتى أنشئت بها مدينة المرية فى تحقيق الوظيفة الدفاعية والتأمينية، حيث يرتفع جبل القصبة وجبل لاهم فى الشمال مشرفاً على المدينة والمرسى، ومن الجنوب يؤدى البحر وظيفته الدفاعية كخندق طبيعى، كما يؤلف الواديان المذكوران خندقين طبيعيين كذلك، ويلى كل ذلك سلسلة جبال المرية والحمة.

---

[١] – الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٣٧؛ مجهول: الحلل الموشية، ح ٨٩، ص ٤٩؛ الرشاطى وابن الخراط: الأندلس فى اقتباس الأنوار، ص٥٩؛ إسحاق بن الحسين المنجم: آكام المرجان، ص ١٤.

[٢] – مجهول: ذكر بلاد الأندلس، جـ١، ص ٧٧.

[3] –Torres Balbás: Almería islámica, p. 413.

[٤] – الإدريسى: نزهة المشتاق، ص ص ٥٦٢–٥٦٣؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٧٧؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٣٨؛ محمود مقديش: نزهة الأنظار، مج ١، ص ١٦٠؛ المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص١٦٣؛ العمرى: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ٢٣٣.

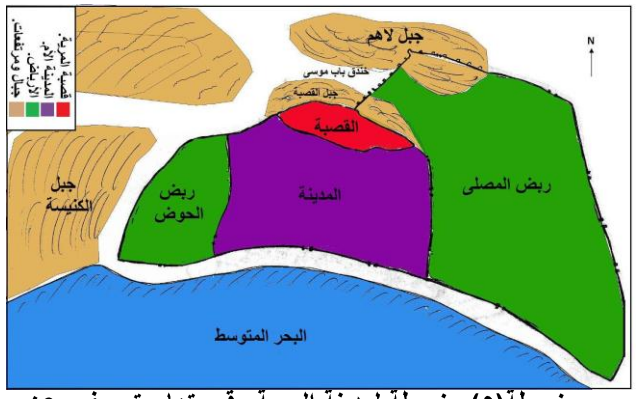

خريطة(٥): خريطة لمدينة المرية وقصبتها، بتصرف، عن:
Torres Balbás: *Almería islámica*, pp. 236-237.

ولم تقتصر دفاعات القصبة على الحصانة الطبيعية فقط بل زودت بأسوار منيعة تشغل مساحة غير منتظمة الشكل، تمتد فى استطالتها من الشرق إلى الغرب، ويبلغ متوسط طولها ٤١٧م، وعرضها عند المنتصف ٩٢ متر. بإجمالى مساحة قدرها ٢٣٨١٠م٢. وبتلك المساحة تكون قصبة المرية ثالث أكبر قصبة إسلامية فى الأندلس بعد قصبة الحمراء بغرناطة وقصبة بطليوس. وتتكون القصبة من ثلاثة أقسام يحميها سور محصن، يبلغ محيطه ٩٧٠م، ومتوسط ارتفاعه ٧م، وسمكه ٢م، ويحميه ١٩ برجاً تتراوح ارتفاعاتها بين ٧م و٢٠م، وتتوجه مجموعة من الشرافات ذات القمم الهرمية.

وللوصول إلى داخل القصبة لابد من اجتياز مدخل مركب يتكون من عدد من البوابات ذات المداخل المنكسرة، والحيل الحربية المتنوعة، ومواد وطرق البناء التى تكفل لها القوة والحصانة، وتربط بين تلك البوابات ممرات وانعطافات متدرجة الارتفاع تزيد من عرقلة المهاجمين ومن صعوبة وصولهم إلى داخل القصبة، كما يحمى تلك الممرات عدد من أبراج الحراسة التى تعمل على مضاعفة القدرة الدفاعية لمدخل القصبة.

وزيادة فى القدرة الدفاعية وفى ضوء رؤية تحصينية متكاملة تعتمد على توحيد دفاعات المدينة، تم الربط بين أسوار القصبة وأسوار المدينة، ومع التوسع العمرانى وظهور الأرباض تم تحصينها بأسوار خاصة بها، وتم الربط بين أسوار الأرباض والمدينة الأم والقصبة فى إطار منظومة دفاعية واحدة تهدف إلى تأمين الحاكم والسكان.

ومن خلال البقايا الأثرية لتلك الأسوار ومن خلال خريطة المدينة تتضح قوة ومتانة تلك الأسوار التى كانت تتميز بالارتفاع والسمك، وبتعدد أبراجها،

وانكساراتها التى تزيد من متانتها وقدرتها الدفاعية والهجومية عن نفسها وعن المدينة والقصبة بشكل عام.

وقد تم جلب الماء العذب إلى المرية وقصبتها من نهر وادى بجانة[١]، حيث اهتم الحكام المسلمين بتوصيل ذلك الماء وتخزينة بوسائل مختلفة ليكفى للسكان فى حاجاتهم اليومية وفى أوقات الحصار[٢]. فقد أقيمت بالمرية ساقية تجلب الماء من مصب نهر وادى بجانة إلى المدينة[٣]. وفى المدينة تتفرع تلك الساقية إلى مجموعة أفرع عبارة عن قنوات تغذى أحياء المدينة ومنازلها، ويخرج منها فرع إلى المسجد الجامع، وآخر إلى القصبة[٤]. وقد اهتم خيران العامرى بتزويد المدينة وأرباضها وقصبتها بالمياه[٥]، وتبعه فى ذلك الفتى زهير العامرى، الذى "بنى السقاية وجلب الساقية إليها من النطية، وكثر الماء بالمرية"[٦].

ثم أقام المعتصم بن صمادح فى رمضان عام (٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) سقاية للمياه إلى جامع المرية حيث تصب فى حوض أقيم لهذا الغرض يقع غربى الجامع، ومن هذه السقاية اتخذ فرعاً يصل إلى ما وراء القصبة، واستطرد منه جدولاً يصب في أسفل القصبة ويرفع بالدواليب إلى أعلاه، والذى أقام له المعتصم سوانى[٧] يسنى فيها، ويصل ماؤها إلى الرياض الملحقة بالقصر[٨].

إضافة إلى الماء المجلوب لها من خلال النواعير والقنوات من نهر وادى بجانة تم تزويد قصبة المرية بالآبار لتوفير الماء، والمواجل لتخزينها[٩]. فيحتوى القسم الأوسط من القصبة على ماجل مستطيل الشكل، يتكون من ثلاث بلاطات

---

[١] – سالم والعبادى: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص ١٨٠؛ محمد الحماد: التخطيط العمرانى لمدن الأندلس، ص ١٦٢.

[٢] – ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢١٢؛ ابن الدلائي: نصوص عن الأندلس، ص ٨٣؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٣٨؛ ولنفس المؤلف: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٤.

[٣] – محمد عبد الله الحماد: التخطيط العمرانى لمدن الأندلس، ص ١٦٢ .

[٤] – الحميرى: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٤.

[٥] – ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢١٢ .

[٦] – ابن الدلائي: نصوص عن الأندلس، ص ٨٣ .

[٧] – سوانى: أى مواضع، ومفردها "سُوان" بمعنى موضع. ابن منظور: لسان العرب، جـ ١٣، ص ٢٢٩.

[٨] – الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٣٨.

[9] – Teresa Péres y otras : La Alcazaba, p. 14; Sin autor: La Alcazaba de Almería, p.17.

عن طريق بائكتين، تتكون كل بائكة من ثلاث دعامات وكتفين تعلوها أربعة عقود نصف دائرية، ويغطى الماجل ثلاث أقبية نصف اسطوانية[١].

كما يحتوى ذات القسم على ماجل يعرف بماجل الخليفة، يشغل مساحة شبه مستطيلة تنقسم إلى خمس بلاطات مغطاة بأقبية نصف برميلية[٢]. كذلك احتوى القسم الشرقى للقصبة على بعض الآبار كان يتم رفع الماء منها عن عمق ٧٠ متراً[٣]. كما عثر فى القسم الثالث أو الغربى لقصبة المرية على صهريج أو ماجل ماجل لتخزين المياه، يرتبط ببئر ذى شكل بيضاوى، ويقع البئر بالقرب من الماجل حيث كان يتم استخراج المياه منه بواسطة ناعورة تديرها الحيوانات[٤].

كما تمت الاستفادة من فحص المدينة أو واديها الشرقى والذى يجرى به نهرها فى الزراعة، إذ كان به من الفواكه "الشيء الكثير الرخيص – من أعناب وزيتون وفواكه مختلفة– وهذا الوادي المنسوب إلى بجانة حوله جنات وبساتين وأرحاء وجميع نعمها وفواكهها تجلب إلى المرية"[٥]. كما كان السكان يحصلون على ما ينقصهم فى مدينتهم من الميرة عن طريق البحر، حيث اشتهر أهل المرية بالتجارة، "وكانت إليها تقصد مراكب الطريق من الإسكندرية والشام كله، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالاً ولا أتجر منهم في جميع أنواع التجارات تصريفاً وادخاراً"[٦].

---

[1] – Manuel Gómez–moreno: Ars Hispaniae, Vol. III, p. 267.

[2] – Alfonso Ruiz García: La Alcazaba de Almería, p.١٤.

[3] – Sin autor: La Alcazaba de Almería, p. 9; Teresa Péres y otras : La La Alcazaba, p. 14.

[٤] – مالدونادو: العمارة الأندلسية عمارة المياه، ص ٣٢ .

[٥]– الإدريسى: نزهة المشتاق، جـ٢، ص ٥٦٣؛ ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٨٣؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٢١٨ .

[٦]– الزهرى: كتاب الجغرافية، ص ١٠١؛ الإدريسى: المغرب وأرض السودان والأندلس، ص ١٩٨؛ المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص١٦٣.

قصبة الحمراء:

جاء إنشاء قصبة الحمراء متأخراً عن إنشاء مدينة غرناطة، ولكن حرص محمد بن يوسف بن الأحمر (٦٢٩-٦٧١هـ/١٢٣٢-١٢٧٣م) أول أمراء بنى نصر، ومؤسس دولتهم، على اختيار موقع حصين لقصبة الحمراء يكفل لها القوة والمنعة، ويتحكم من خلاله فى مدينة غرناطة.

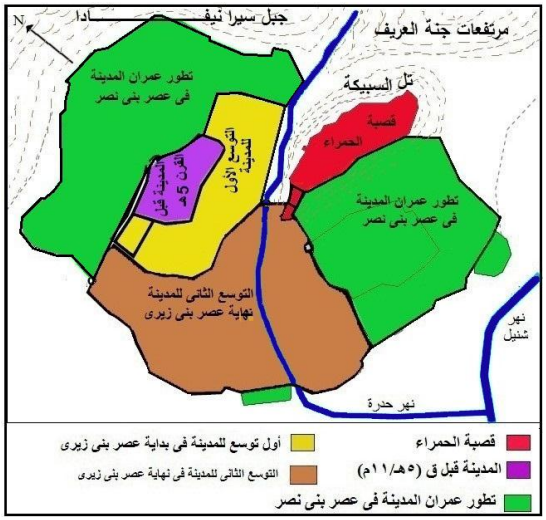

خريطة(٦): خريطة لمدينة غرناطة وقصبتها، بتصرف، عن:
Juan García: ***La primera cerca medieval de Granada, fig. 28c, p.147.***

وتقع القصبة فى الطرف الغربى من الهضبة أو تلة السبيكة (خريطة ٦)، فهى تشرف من الشمال والغرب من موقعها المنيع الشاهق على مدينة غرناطة، وعلى فحصها أو مرجها LaVega، وتشرف من الشرق والجنوب على آكام جبال سييرا نيفادا أو جبل الثلج أو جبل شلير، وهى أقرب ما يكون إلى أحياء المدينة من جانبها الشمالى الغربى، إذ تشرف من علٍ على مجرى نهر حدرة وعلى حى البيازين[1].

وتل سبيكة موقع مناسب لبناء القصبة حيث يتميز بالارتفاع الذى بلغ مائة متر، كما أنه ذو انحدار عمودى من ثلاثة اتجاهات، وتحصنه من الخلف سلسلة جبل الثلج، وبالتالى فهو موقع مثالى للدفاع ولإنشاء القصبة عليه. ولا أدل على حصانة هذا الموقع من أنه منذ دخل المسلمين إلى بلاد الأندلس ووطأت أقدامهم مدينة غرناطة تنبهوا لذلك الموقع الحصين، فأنشئوا عليه حصناً فى الثلث الأول من القرن (٢هـ/٨م) عرف باسم القلعة الحمراء، وعندما تولى بنو زيرى حكم غرناطة جددوا هذا الحصن، ولما جاء المرابطون أنشئوا الأبراج الحمراء على

[1] – عنان: الآثار الأندلسية، ص ١٩٢ .

الحافة الجنوبية الغربية لهذا الموضع، الذى أكمل البناء فيه أمراء بنو نصر بتشييد قصبة الحمراء[١].

وقد ذكر عبد الباسط الظاهرى معلومات مهمة عن موقع قصبة الحمراء، فى سياق حديثه عن زيارته للمدينة فقال: "ثم عدنا ودخلنا إلى الحمراء لرؤيتها، وهى دار الإمارة وقلعة السلطنة ودار الملك وهى غريبة الهيئة، محكمة البناء، أنيقة جداً، دائرة على علوة بوجهين، أحد وجهيها مطل على مرج غرناطة، وهو مرج عظيم يسقيه النهر الذى يقال له "شنيل" من عجائب الأنهار،....وهذه العلوة التى بنيت عليها هذه الدار المعظمة بل الحصن الأعظم والأبراج العجيبة والسور الغريب طرف جبل أحمر اللون"[٢].

ومن خلال تناول طبوغرافية موقع مدينة غرناطة وقصبتها يتضح تحقيق الموقع المحصن للوظيفة الدفاعية والتأمينية التى كفلتها الجبال والمرتفعات التى حصنت المدينة التى سميت بسنام الأندلس لارتفاعها[٣]، والقصبة التى وصفتها المصادر بالحصانة والمنعة[٤]، فهى تشغل مساحة مستطيلة غير منتظمة، يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب ٧٤٠م، وعرضها من الشمال إلى الجنوب نحو ٢٠٠م، بإجمالى مساحة قدرها ٩٧٧٦٥م٢، يحميها سور محيطة ١٧٣٠م، ومتوسط ارتفاعه ٧.٥٠م، وسمكه ٢م، ويدعمه ٢٥ برجاً، تتراوح ارتفاعاتها بين ١٢.٥٠م و٤٥م، وتفتح بها ست بوابات ذات تخطيطات وحيل حربية ومواد وطرق بناء متعددة تكفل لها قدرة دفاعية عالية ومقاومة لعمليات الاختراق والنقب والحرق، وتجعلها أكثر مقاومة لضربات المجانيق والكباش.

كذلك وفرة المياه العذبة التى تؤمن احتياجات المدينة وقصبتها المتزايد من الماء، فقال العمرى واصفاً قصبة الحمراء: "قلعتها حيث سلطانها تعرف بالحمراء، وهى بديعة متسعة، كبيرة المبانى الضخمة والقصور وظريفة جداً،

---

[١] – ابن الخطيب: كناسة الدكان، ح٢، ص ٥٩ .

[٢] – التدمرى: مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهرى، ص ٢٧ .

[٣] – ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ١٠٩؛ ولنفس المؤلف اللمحة البدرية، ص ٢١ .

[٤] – المقرى: أزهار الرياض، جـ١، ص ٥٦؛ ابن عذارى: البيان، جـ٤، ص ٦٩؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢١٦.

يجرى بها الماء تحت بلط - أى فى قنوات مبلطة فى باطن الأرض- كما يجرى فى المدينة فلا يخلو منه مسجد ولا بيت، وبأعلى البرج منها عين ماء"[1].

ولكن كيف كان يتم تزويد قصبة الحمراء بالماء، وأقرب مصدر مائى لها هو نهر دارو (نهر حدرة)؟ وكيف سيتم رفع الماء من النهر إلى أعلى تل السبيكة – الذى يرتفع مائة متر- حيث الحمراء؟

ولفعل ذلك كان على المعماريين الصعود إلى أعلى النهر، إلى نقطة يكون فيها مستوى الماء أعلى منهم وترك طاقة النهر تجلب الماء إليهم. لكن ليس هناك بحيرة طبيعية فوق الحمراء، لذلك قاموا بإنشاء واحدة. إذ قام معمارو السلطان ببناء سد على مجرى النهر يبعد ٦ كم من الحمراء، ليجمع الضغط المائى الكافى ليغذى القصبة. وتتدفق مياه هذا الخزان إلى قناة مرصوفة بالطابوق تسمى بالساقية، وهى تغذى الحمراء فى النهاية[2].

ولكن هناك مشكلة حيث يقع الخزان فى وادٍ بين ثلاثة تلال، ولإيصاله إلى الحمراء يجب بناء قناة مائية طولها ٦ كم تتعرج عبر التلال المحيطة بالحصن، وستعمل فقط إذا حفرت فى اتجاه أسفل التل بانحدار ثابت. ولكن كيف يمكن حدوث هذا وثمة تل جنات العريف يعترض الطريق؟ وللتغلب على ذلك حفر البُناة نفقاً اتساعه متر وعلوه متران عبر سفح التل فى اتجاه الحمراء، وكانت المتانة الطبيعية لتربة التل ضماناً لعدم وجود خطر من الانهيار. ولإيصال الماء من تل جنات العريف إلى الحمراء على المعماريين بناء قناة مائية تعبر منخفضاً أشبه بالخندق اتساعه ١٥ متراً يفصل مابين التلين، ومن ثم يصل الماء إلى الحمراء، حيث يصل إلى الساقية الملكية وهى القناة التى كانت تنقل الماء إلى مركز الحمراء.

ومن الملاحظ فى الحمراء أن الماء نادراً ما يكون راكداً، حتى فى البرك الراكدة نجد المياه تتدفق إليها ثم تخرج منها، وهذا مهم جداً للحفاظ على طهارة الماء، لذلك يجب أن تستمر المياه فى الجريان. إذن للحفاظ على طهارة الماء على المعمار أن يبنى نظاماً يمنع سد الرواسب للقنوات. ويمكننا رؤية حلهم فى شتى أنحاء الحمراء، إنها برك ضحلة مصممة لتخفيف سرعة الماء، حيث تأتى

[1] – العمرى: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ١٤٢ .

[2] – إيما كلارك: فن الحدائق الإسلامية، ص ١٥٢ .

المياه مندفعة أسفل القناة حاملة الرواسب والبقايا وتصل إلى مساحة واسعة وعميقة مما يخفف سرعة الماء وأيضاً سرعة الوحل والرمال التى يحملها حتى تترسب فى القاع (شكل ٥). بهذه الطريقة تبقى مياه الحمراء عذبة ونقية باستمرار.

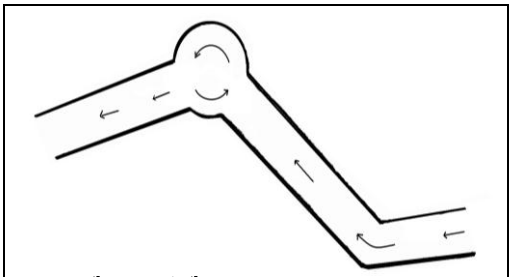

شكل(٥): القنوات المستخدمة فى تنقية المياه بقصبة الحمراء. عمل الباحث.

لكن كثرة المياه قد تكون ضارة، فإذا فاضت الشبكة قد تتراكم المياه وتسد القناة مانعة الماء من التدفق بحرية، وللحيلولة دون هذا تم بناء قناة جانبية يصرف إليها الماء الزائد، وتقوم هذه القناة بصرف الماء الفائض عن حاجة قاطنى القصبة من خلال فتحة فى الأسوار إلى خارج القصبة ليصرف فى مجرى مائى صغير يصب فى نهر حدرة من جديد[١].

قد يكون المعماريون حلوا مشكلة المياه الزائدة، لكنهم لا يسيطرون على قلتها. وأصبح واضحاً أن الحمراء قد تستهلك مخزونها المائى أثناء مواسم الجفاف. وعلى قمة تل جنات العريف يكمن الحل، حيث مجموعة ضخمة من الخزانات أقيمت على أرض مرتفعة حتى تضمن الجاذبية تدفق الماء المستمر للحمراء. وكان يتم إيصال الماء إلى تلك الخزانات عن طريق ناعورة تدار بالدواب[٢]. وبهذه الطريقة استطاع مهندسو الحمراء تزويد القصبة بما تحتاجه من ماء يكفى قاطنيها، ويكفى لإنشاء واحة من الحدائق تحيط بمجمع القصور.

كما زودت قصبة الحمراء من الداخل بمجموعة من المواجل أو الصهاريج لتخزين المياه – إما مياه المطر أو المياه المجلوبة عن طريق ساقية السلطان– مثل ماجل حصن القصبة بميدان السلاح إلى جوار برج الطليعة أو الحراسة، وهو ماجل مستطيل قياساته ١٣.٨٠م × ٧.١٨م وينقسم إلى بلاطتين عن طريق

---

[١] – المعلومات الواردة عن كيفية تزويد قصبة الحمراء بالماء مأخوذة عن فيلم وثائقى عن الحمراء بعنوان: هياكل تاريخية عملاقة_ الحمراء، قناة National Geographic Abu Dhabi .

[٢] – شريف جاه: لغز الماء فى الأندلس، ص ٨٦ .

بائكة تتكون من ثلاث دعامات وكتفين تحمل أربعة عقود نصف دائرية، ويغطيه سقف مكون من قبوين نصف اسطوانيين. وغيره من المواجل، مثل: ماجل ميدان المواجل، وماجل حمامات قصر بنى السراج، وماجل أسفل برج التكريم، وآخر أسفل قصر كارلوس الخامس[١]، وغيره.

كذلك وفرة المساحات الزراعية التى تخدم المدينة وقصبتها، والتى تمثلت فى فحص غرناطة، وهو عبارة عن سهل أفيح، وبسيط شاسع أخضر خصب، وفحص مترامى الأطراف، يغص بالزراعات والأشجار والفواكه والنباتات، وتسقيه عدة قنوات وسواق وعيون وأنهار[٢].

ومن الجدير بالذكر أنه كان لاختيار موضع محصن للقصبة تأثيره على اختيار موضع المدينة، وموجهاً لنموها العمرانى، وذلك فى حال إنشاء القصبة قبل المدينة، كما كان يتم اختيار أحصن موضع فى المدينة لتبنى عليه القصبة فى حال كان إنشاء القصبة تالياً لإنشاء المدينة.

ومن خلال النماذج سابقة الذكر نلاحظ وجود علاقة تحصينية بين القصبة وعمران المدينة وأرباضها، تلك العلاقة تخدم فكرة التحصين والدفاع والقائمة على تنظيم العراقيل بين المهاجمين والمدافعين لمنع المهاجمين من المضى فى سبيلهم، ولوقاية المدافعين من شر مقذوفاتهم، وتمكين المدافعين فى الوقت نفسه من أن يمطروا المهاجمين بوابل من مقذوفاتهم، وذلك بتعدد خطوط الدفاع، والتى تبدأ من خارج المدينة بأبراج المراقبة، ثم دفاعات الأرباض من خنادق وأسوار وأبراج، تليها المدينة بتحصيناتها التى تفوق تحصينات الأرباض، منتهية بالقصبة المنيعة، فكلما اتجهت التحصينات إلى الداخل ازدادت قوة ومنعة، إلى أن نصل إلى أقوى النقاط الدفاعية متمثلاً فى القصبة، التى عندما تصل إليها القوات المهاجمة تكون فى أضعف حالاتها بعدما فقدت كثيراً من قوتها

---

[١] – مالدونادو: العمارة الأندلسية عمارة المياه، ص ص ٣١–٤٤ .

[٢] – المقدسى: أحسن التقاسيم، ص، ٢٣٥؛ العمرى: مسالك الأبصار، ص ص ٢٢٩–٢٣٠؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢١٤؛ الحموى: معجم البلدان، جـ٤، ص ١٩٥؛ البغدادى: مراصد الاصطلاع، جـ ٢، ص ٩٩٠؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ص ٤٥–٤٦.

أثناء محاولاتها التغلب على مراحل التحصين والدفاع التى سبقت القصبة، ومن ثم يسهل للقوات المدافعة التغلب على القوات المهاجمة[١](شكل ٦).

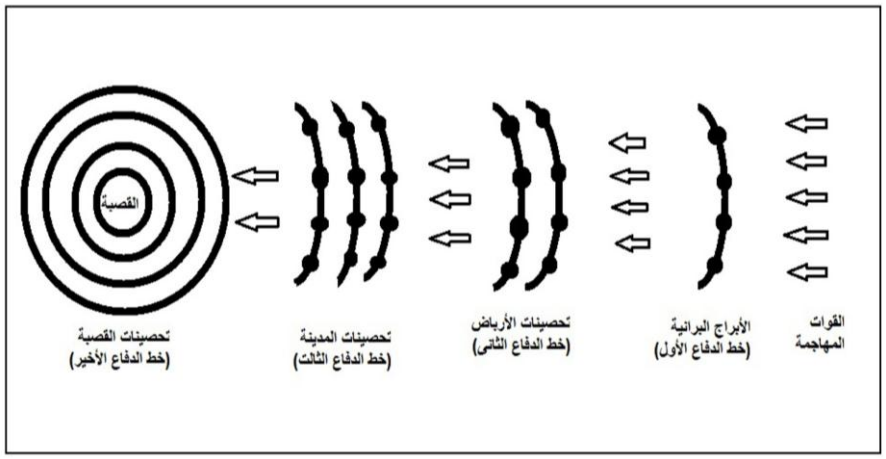

شكل (٦): يوضح فكرة التحصين والدفاع . عمل الباحث.

الخلاصة:

ومما سبق نستطيع – ومن خلال فكرة التحصين والدفاع والتى تهدف إلى تأمين الحاكم فى المقام الأول والسكان، فى إطار منظومة دفاعية متكاملة– الخروج بعدد من المعايير التى كانت متبعة فى اختيار موضع القصاب بالمدن الأندلسية:

١-حصانة الموقع وارتفاعه: حيث كانت القصبة تقع فى أعلى مواضع المدينة ارتفاعاً وأكثرها حصانة، ومن ثم زيادة قدرتها الدفاعية عن نفسها وعن المدينة التى تحميها فى إطار العلاقة بين القصبة والمدينة وفى ضوء مراحل الدفاع المتتالية.

*- يزيد الموضع المرتفع من القدرة على المراقبة والتواصل مع الأبراج البرانية الخاصة بالمراقبة والاستطلاع.

*- أدى ارتفاع موضع القصبة عن بقية مناطق العمران إلى صعوبة وصول القوات المهاجمة إلى داخل القصبة من خلال حفر الأنفاق أو السراديب تحت الأسوار.

[١] – للاستزادة عن فكرة التحصين والدفاع فى العصور الوسطى، راجع: محمد عبد الستار: العمارة الحربية الإسلامية بين النظرية والتطبيق، ص ص ١٦٨–١٧٣ .

*- زاد الارتفاع من صعوبة تسلق الأسوار التى أكد المعمار على ارتفاعها، ودعمها بعدد كبير من الأبراج تزيد من صعوبة تسلقها، وتزيد قدرتها الدفاعية عن نفسها وعن القصبة.

*- صعب الأساس الصخرى المرتفع فكرة نقب الأسوار لعدم توفر المقومات التى تساعد على ذلك: كالوصول إليه، وكيفية الاستقرار عليه، وكيفية نقبه، وغير ذلك.

*- يزيد الموضع المرتفع من فرصة التغلب على العدو المهاجم ويجعله فى مرمى المدافعين.

٢-القرب من الجبال: مثل قرب مواضع القصاب من الجبال حماية طبيعية لها، حيث يمنع أية قوات تصل إلى القصبة من جهته، أضف إلى ذلك القدرة على الهرب والاحتماء بتلك الجبال المرتفعة فى حال سقوط القصبة فى أيدى الأعداء.

٣-القرب من البحار(فى المدن الساحلية): الأمر الذى يزيد من الحصانة الطبيعية لموضع القصبة، إضافة إلى استخدام تلك البحار فى التجارة وجلب الميرة من البحر، وكموانئ للأساطيل التى تحمى المدينة وتدافع عنها، كما تستخدم أيضاً للفرار عند الضرورة.

٤-القرب من الأنهار ومصادر الماء العذب: وهو ما يكفل للقصبة التزود بالماء الصالح للشرب والتخزين بكميات كافية تكفل مواجهة أى حصار.

*- تعمل تلك الأنهار كخنادق طبيعية تزيد من حصانة موضع القصبة، أو يتم من خلالها ملء الخنادق الصناعية بالماء لزيادة عرقلة المهاجمين.

*- تأمين مصادر الماء، واستمرار التزود به فى حالة السلم والحرب، من خلال جعل مصدر الماء مخفى فى باطن الأرض بعيداً عن نظر الأعداء، وحماية مصدر الماء بقورجات عبارة عن أسوار أو جدران عمودية على أسوار القصبة المطلة على النهر تنتهى بأبراج تحول بين القوات المهاجمة وبين مصدر الماء. كذلك بناء صهاريج أو مواجل كبيرة ومتعددة داخل نطاق أسوار القصبة لتخزين الماء وبكميات كبيرة تكفل لها مواجهة أية حصار لأطول مدة ممكنة. أضف إلى ذلك تزويد القصبات بالآبار التى يتم من خلالها

استنباط الماء من باطن الأرض، فهى مصدر بديل للماء فى حال تمكن القوات المعادية من قطع مصادر الماء الخارجية.

٥- القرب من الظهير الزراعى: الذى يوفر لقاطنى القصبة والمدينة ما يحتاجون إليه من غذاء، فضلاً عن الأشجار التى تستخدم فى البناء وكمصدر للطاقة.

*- تأمين مصدر الغذاء، عن طريق تزويد القصبة بعدد من الأهراء والمطامير التى يتم حفظ وتخزين الطعام بها، والذى يوفر لقاطنى القصبة ما تحتاجه من غذاء لفترات طويلة. وكذلك إنشاء أسوار وأبراج تحيط بالظهير الزراعى وتدافع عنه، متى توفرت القدرة على ذلك.

٦- التحصينات المعمارية: أدت المواضع المنخفضة لبعض القصبات إلى لجوء المعمار الأندلسى إلى مجموعة من الحلول المعمارية لتعويض نقص التحصين الطبيعى، أو لزيادة التحصين الطبيعى فى القصاب ذات المواضع المرتفعة، مثل: الإعاقة بالخنادق الطبيعية أو الصناعية، وتكريس الإعاقة بملئ تلك الخنادق بالماء.

*- استخدام مواد وطرق وأساليب فى بناء الأسوار تكفل قوة الدفاع وتقاوم الحرق والنقب.

*- زيادة سمك وارتفاع الأسوار التى تعيق عملية نقبها وتسلقها، وتجعل المهاجمين فى مرمى قذائف المدافعين.

*- تقارب أبراج الأسوار التى زادت من متانتها وقدرتها الدفاعية والهجومية.

*- أضف إلى ذلك الحلول والحيل المعمارية الكثيرة التى زودت بها بوابات القصاب لمنع المهاجمين من الوصول إليها أو اقتحامها، مثل: تزويد المداخل بأبراج لحمايتها، وتزويدها بممرات منكسرة أو ذات مرافق، اختلاف مستوى أرضيات المداخل، احتواء الممرات على دخلات يتموضع بها الجنود المدافعة، احتواء ممراتها على أجزاء غير مسقوفة يمكن من خلالها سكب المواد الحارقة على المهاجمين وإمطارهم بالمقذوفات، الاتساع والضيق فى المداخل والذى يعيق اندفاع المهاجمين، وغيرها من الحيل الحربية. كذلك بناء البوابات بمواد وأساليب وطرق بناء تكفل لها القوة والمقاومة كالأحجار، وتصفيح مصاريع الأبواب بالحديد أو صناعة المصاريع بالكامل من الحديد.

المصادر والمراجع:

أولاً_ المصادر العربية:

- إسحاق بن الحسين المنجم (ت: القرن ٤هـ): آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تحقيق: فهمى سعد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.
- الحميرى (ت: ٨٦٦هـ): الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن سعيد (ت: ٦٨٥هـ): المغرب فى حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٣م.
- الشريف الإدريسى (ألف الكتاب عام ٥٤٨هـ): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، تحقيق: ر. روبيناتشى وآخرون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م .
- ابن صاحب الصلاة (ت: بعد ٥٩٤هـ): المن بالإمامة "تاريخ بلاد المغرب والأندلس فى عهد الموحدين"، تحقيق: عبد الهادى التازى، دار الغرب الإسلامى، بيروت_ لبنان، ط٣، ١٩٨٧م .
- ابن عذارى المراكشى (عاش بعد سنة ٧١٢هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جـ ٢، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وليفي بروفنيسال، دار الثقافة، بيروت_ لبنان، ط ٢، ١٩٨٠م .
- ابن فضل الله العمرى (ت: ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وعصام هزايمة ويوسف أحمد بنى ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.
- ابن القوطية (ت:٣٦٧هـ): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبيارى، دار الكتب المصرى ودار الكتاب اللبنانى، ط٢، ١٩٨٩م .
- لسان الدين ابن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ):
  - *- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٠م.
  - *- معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كما شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
  - *- اللمحة البدرية فى الدولة النصرية، دراسة وتحقيق: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامى، ليبيا، ٢٠٠٩م.

- أبو محمد الرشاطى (ت: ٥٤٢هـ) وابن الخراط الإشبيلى (ت: ٥٨١هـ): الأندلس فى اقتباس الأنوار وفى اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق: إميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية_ معهد التعاون العربى، مدريد، ١٩٩٠م.
- محمود مقديش (ت: ١٢٢٨هـ): نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: على الزوارى ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامى، بيروت_لبنان، ١٩٨٨م .
- المقرى (ت: ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.
- مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، جـ١، تحقيق: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م.

ثانياً_ المراجع العربية والمعربة:

- باسيليو بافون مالدونادو: العمارة فى الأندلس "عمارة المدن والحصون"، ترجمة: على إبراهيم منوفى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م .
- توريس بالباس: المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة: إليو دورو دى لابنيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣م .
- سحر سالم: مظاهر الحضارة فى بطليوس الإسلامية، رسالة دكتوراة، كلية الآداب_جامعة الإسكندرية، ١٩٨٧م.
- عامر عجلان: المساجد الجامعة بمدينة تونس فى العصر الحفصى، رسالة ماجستير، كلية الآداب بسوهاج، ٢٠١١م.
- على خلاصى: قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٧م.
- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م .

ثالثاً_ المراجع الأجنبية:

-**Abdel Kader Nakhli Mtiri:** ***La ciudad islámica : sus referencias culturales*****, Biblioteca Regional de Madrid, 2006.**
- **Aida Youssef Hoteit:*****Cultura, espacio y organización urbana en la ciudad islámica*****, Universidad Politecnica.E.T.S. de Arquitectura, 2ª edición, 1993.**

- **Alfonso Ruiz García:** ***La Alcazaba de Almería*****, Delegación Provincial de la Consejería de Cultura de la Juntade Andalucía, 1999.**

-Antonio Navareño Mateos: ***El castillo bajomedieval: arquitectura y táctica militar*****, Gladius, Vol. especial,1988, pp. 113-152 .**

-J. Enrique:***Breve Historia de la Ciudad de Badajoz*****, IES, Badajoz, n.d.**

-Fernando Valdés Fernández: ***La Mezquita Privada De 'abd Al-rahman Ibn Marwan al-ynuqi en la alcazaba de badajoz*****, CuPAUAM: Cuadernos de Prehistoria y Arqueología, Nº 25.2, 1999, pp. 267-290 .**

- Guillén Robles: ***Málaga musulmana : sucesos, antigüedades*****, ciencias y letras malagueñas durante la Edad Media, Imp. de M. Oliver Navarro, Málaga, 1880 .**

-Jorge Juan: ***Arte Hispano-Musulmán*****, Historia del Arte, 2º Bachillerato, Tema 6: Arte Hispanomusulmán, Curso 2006-2007.**

- Juan García: ***La primera cerca medieval de Granada:Análisis historiográfico*****, Arqueología y territorio medieval, Nº 3, 1996 , pp. 91-148.**

- Lorenzo Cara: ***La Remodelacion de una Fortaleza Musulmana Medieval: La Alcazaba de Almeria en epoca Cristiana (siglos XV y XVI)*****, Coloquio Almeria entre Culturas, Instituto de Estudios Almerienses Departamento de Historia, 1990, pp. 451-485.**

- Luis Seco de Lucena: ***Acerca de la qawarŷa de la alcazaba vieja de Granada,*** **Al-andalus, vol. XXXIII, fasc. 1, 1968, pp. 197-203.**

- Manuel Gómez-moreno: ***Ars Hispaniae*****, historia universal del arte hispánico, Vol. III, El arte árabe español hasta los almohades - Arte morárabe, Editorial plus-ultra, Madrid, 1951.**

-Manuel M. Casado y Ángel H. Aparicio: ***Las murallas de la ciudad de jaen, (I) y (II),*** **Alcazaba, Revistade diffusion cultural, junio, 2005.**

-Peter Burton:*Islamic Castles In Iberia,* **The Castle Studies Group Journal, No 22, 2008-9, pp. 228-244.**

- Ricardo Roman: ***Courca et Coracha,*** **Al-Andalus: revista de las Escuelas de Estudios Árabes de Madrid y Granada, Vol. 19, Nº 1, 1954 ,pp. 149-171.**

- Samuel Márquez, Pedro Daza: ***Recursos formales y constructivos en la arquitectura military almohade en al-Andalus,*** **Arqueología de la Arquitectura, número 5, Madrid, 2008, pp. 115-134.**

- Santiago Feijoo Martínez*: El aljibe de la Alcazaba de Mérida*: 1ª campaña de excavación en la zona Norte y Oeste / Santiago Feijoo Martínez, Alicante : Biblioteca Virtual Miguel de Cervantes, 2007, pp. 191-212.

- Sin autor: ***La Alcazaba de Almería,*** **Centro de Educación de Adultos de Purchena, Nivel de Neolectores, n.d.**

-Teresa de Jesús y otras*: Jardines con historia (III): Los Jardines de Badajoz,* **La Agricultura y la Ganadería Extremeñas en 2009, pp. 251-262 .**

- Teresa Péres y otras: ***La Alcazaba,*** **Junta de Andalucia, Consejería de Educación y Ciencia, Consejería de Cultura y Medio Ambiente, n.d.**

-Torres Balbás: ***Hallazgos arqueológicos en la Alcazaba de Málaga,*** **"Residencia", v. 5 (n. 3), 1934, pp. 89-98.**

- *La alcazaba almohade de Badajoz, **Al-Andalus, VI, 1941.**

- *Estructura de las ciudades hispanomusulmanas: la medina, los arrabales y los barrios, **"Al-Andalus", XVIII, 1953, pp. 149-177.**

***- *Almeria Islamica*, Al-Andalus, XXII, Año 1957, Vol. 22, No. 2, pp. 411-457.**

***- *La ciudad musulmana*, "Revista de la Universidad de Madrid", VII (n. 25), 1958, pp. 97-112.**

***- *La alcazaba y la catedral de Málaga. Los monumentos cardinales de España (24)*, Editorial Plus·Ultra, Madrid, 1960.**

***- *Las Ciudades Hispano musulmanas*, Instituto Hispano-Árabe de Cultura, Madrid, 1970.**

-Vicente Salvatierra Cuenca: *Las murallas urbanas*, Revista de Arqueología del Área de Historia Medieval, Universidad de Jaén, No, 11-2, Año 2004, pp. 55-76.

رابعاً_ مواقع شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت":

-Alcalzaba Árabe de Mérida, available on line at http://www.meridaeterna.com/alcazaba-arabe-de-merida , 21/11/2012 .

--Guía de Monumentos de Badajoz, available on line at http://www.monumentosdebadajoz.es /alcazabaint.htm, 21/6/2014 .

-El Castillo de jaén, available on line at http://www.turjaen.org/infoturismo/monograficos_castillo _jaen, 23/7/2014 .

- Jaén, available on line at, http://www.galeon.com/jaen/historia.htm, 23/7/2014.